



يظن كثير من المراقبين والناقدین أن الخطاب الديني الإسلامي واحد ويبني على هذا الظن كثير من الأحكام والتصورات لكن في الحقيقة هذه الفكرة خاطئة. بعد ثورات الربيع العربي بدأت أربعة تيارات على المستوى الديني بالظهور بشكل جلي وأسأ تعرض في هذا المقال هذه التيارات الدينية.

التيار الأول وهو التيار الذي وقف مع الحكم المستبد وأيداه وبرر له تصرفاته وشرعنه له أفعاله منطلاقاً من نظرية وجوب طاعة الإمام بشكل مطلق سواء كان برأ أم فاجراً عادلاً أم ظالماً مستدلاً بمجموعة من النصوص الدينية التي تأمر بوجوب طاعة الإمام بشكل مطلق وإن جلد ظهرك وأخذ مالك وهتك عرضك ومعتمداً على مجموعة من النصوص الفقهية التي تحرم الخروج على الحكم مهما كان هذا الحكم وإن البقاء يوم بدون حاكم هو أعظم على الأمة من البقاء تحت راية الحكم الظالم بل بالغ هذا التيار في تقديره الحكم من خلال تصوير أفعال الحكم المستبد بأنها أوامر إلهية أمره الله عز وجل بها مستمدًا صوراً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومقارناً بين أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وبين هذا الحكم المستبد مشبهاً أفعال الحكم بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وممن وقع في هذا التيار أعلام ورموز وعلماء تعتبر مرجعيات لكثير من الناس في العالم العربي والإسلامي.

التيار الثاني وهو التيار المغالي المتشدد في الدين والذي اعتبر أن هؤلاء الحكام المستبدین كفار يجب قتالهم وأنه يجب تأسیس إمارات إسلامية وخلافة إسلامية متمسکین بعدد من النصوص الدينية التي تبشر بوجوب عودة الخلافة وأن إقامة الخلافة أمر شرعي أمرنا الله عز وجل بها وأن مهمة حراسة الدين موكولة إليهم وكل من لم يطالب بهذه المطالب فهو مرتد كافر يجب قتاله. إلا أن هذا التيار شهد اختراقات استخباراتية كبيرة على مستوى القيادة كما أن هذا التيار تمدد على حساب ثورات الربيع العربي التي قامت والتي شهدت فراغاً على مستوى السلطة كما في ليبيا وسوريا والعراق.

التيار الثالث وهو التيار الذي قام كردة فعل على تيار الغلو والتشدد والذي بدأ بحملة التشكيك على كثير من الثوابت الدينية كمسألة الخير والشر ومسألة القضاء والقدر ومسألة الحرية الدينية ومكانة السنة في الشريعة والموروث الديني والنصوص الدينية وتفسيرها وقد انتشر هذا التيار في بلاد المهجّر واللجوء.

التيار الرابع وهو التيار الذي قام ضد الاستبداد وأعلن عدم شرعية الحكم المستبدین وساند ثورات الربيع العربي ودعمها

وأيدتها بالفتاوی والدراسات الشرعية ولم يمالئ مشايخ السلطان وقد اعتمد على النصوص الدينية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر معتبرا أن هؤلاء الحكام قد فقدوا شرعية قتل والتهجير ضد أبناء شعبهم وعندما استقدموا المحتل والأجنبي لقمع ثورات الربيع العربي وقد طالب هذا التيار بإقامة دولة الحرية والعدالة التي تضمن لجميع المواطنين حقوقهم بغض النظر عن أعراقهم أو دينهم أو منذهبهم كما أن هذا التيار رفض الغلو والخطاب الديني المتشدد معتبرا أن هذا الخطاب مرفوض في الإسلام فـ بالإسلام يأمر بالوسطية وينهى عن التشدد ويحارب الغلو والتطرف وقد واجه هذا التيار تيار المشككين في النصوص الدينية معتبرا أن هذا التيار يؤدي إلى تعطيل النصوص الدينية وضياع الدين.

بعد سرد هذه التيارات الأربع التي ظهرت بعد ثورات الربيع العربي يجب أن ننظر نظرة ناقدة لهذه التيارات حتى تتضح الأمور لكل متابع. أما التيار الأول يلاحظ عليه أنه لم يكن ممثلا بمدرسة فكرية معينة كالسلفية أو الصوفية كما أنه لم يتجسد بشخصيات معينة لها طابع واحد بل شهدنا التنوع في هذا التيار فقد شهدنا عدد من أصحاب الفكر الصوفي وعد من أصحاب الفكر السلفي كما أن بعض هذه الشخصيات انطلقت من مبادئ نظرية واجتهدات معينة تؤمن بوجوب طاعة الحاكم بأي شكل من الأشكال ما لم يظهر الكفر البواح منه وبعض هذه الشخصيات انطلقت من مبدأ المصلحة والمنفعة والتقرب عند الحكام لينالوا مكانة ومنصبا وما قد نال هذا التيار دعم الحكم والملوك والسلطانين لتبرير قمعهم واستبدالهم وشرعنتها.

أما التيار الثاني وهو تيار الغلو والتشدد فقد سعى إلى إقامة خلافة إسلامية في الأراضي السورية والعراقية واللبنانية وقد استطاع بتسهيل دولي إقامة هذه الخلافة وما يلاحظ على هذا التيار أنه من أبناء المدرسة السلفية المتشددة كما أنه اعتمد على نصوص دينية فيها إطلاقات كفرية منطلقا لأفكاره كقوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) و قوله صلى الله عليه وسلم (حتى تكون خلافة على منهاج النبوة) ولقد استهوى هذا الخطاب عدد كبير من الشباب المسلم في مشارق الأرض ومغاربها ثم استقطب هؤلاء الشباب إلى أرض الخلافة إلا أنه تبين بعد ذلك أن جميع تلك الأحلام الموعودة في أرض الخلافة كانت سرابا وحالم لم تتحقق وكان لهذا التيار دور كبير في إجهاض ثورات الربيع العربي من خلال الاستدعاء الدولي وجلب التحالفات العالمية وثبتت أركان الحاكم المستبد لأن الحاكم أوهم تلك الدول أنه يواجه هذه المجموعات الإرهابية المسلحة وبدونه ستنتشر هذه المجموعات الإرهابية لتحرير القدس وروما كما ظهر في أبيات وشعارات هذا التيار.

وقد كان هذا التيار أشبه بتيار الخوارج الذي ظهر زمان الصحابة وقد كفر معظم الصحابة رضوان الله عليهم وشن حروبها قاسية ضد الخلافة الأموية والعباسية. وقد ظهر التيار الثالث كردة فعل على التيار الثاني وهو تيار الغلو ويلاحظ أن أصحاب هذه المدرسة يكثرون من النقد للموروث الديني ويعتبرون أن هذا الموروث هو سبب البلاء والمصائب وأصحاب هذا التيار لا تجمعهم مدرسة فكرية واحدة وقد يختلفون في درجة النقد للموروث الديني حتى صل بعضهم إلى رفض هذا الموروث بشكل مطلق معتبرا أن الموروث الديني هو السبب في وجود الغلو وداعش وينادي بالتحلل من كثير من الأحكام الشرعية لأنها لا تناسب العصر والوقت الحالي وقد يكتفي بعضهم بنقد أفكار دينية معينة وأنه لا بد من التخلص منها لمواكبة التطور والحضارة والمدنية كما يلاحظ أن نسبة من هؤلاء دعموا ثورات الربيع العربي ضد الاستبداد كما أن قسمًا منهم أيد الحكام المستبدلين.

أما أصحاب التيار الرابع وهو التيار الذي أخذ موقف الوسط من هذه التيارات الثلاثة رفض الاستبداد والظلم الذي يمارسه الحكام على شعوبهم فلم يمالئ السلطان ولم يدعمه بل وقف في وجهه وأيد مطالب الشعب بالعدل والحرية والكرامة وكان ذلك سببا في زج الكثير منهم في السجون والمعتقلات وقد انطلق في موقفه من مبادئ نظرية وفقهية وشرعية تحرم الوقوف مع الظالم وتطلب الوقوف في وجهه وأن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وكذلك رفض تيار الغلو والتطرف والتكفير والتشدد في الدين منطلاقا من مبادئ نظرية تنهى عن التشدد والتنطع في الدين وتأمر باليسر والسماحة وأن الإسلام هو دين رحمة للعالمين وللبشرية جماء وبسبب مواجهته هذا التيار استشهد عدد من الشباب على يد أصحاب هذا التيار كما أنه رفض التيار الثالث المتهجم على الموروث الديني منطلاقا من مبادئ نظرية مفادها التفريق بين الأصول والثوابت وبين الفروع والمتغيرات فالأصول هي التي لا تقبل التغيير والتبديل والفرع والمتغيرات هي التي تقبل التجديد والتغيير بحسب متغيرات الزمان والمكان.

ومما يلاحظ على هذا التيار أنه لم يتمثل بمدرسة فكرية معينة وإنما تشكل من عدة مدراس دينية كالصوفية المعتدلة والسلفية المعتدلة وقد مورس على هذا التيار الكثير من التضييق من الحكام المستبدین لأنهم يعتبرون أن صحة هذا التيار هو سبب في صحة المجتمعات الإسلامية لذلك نرى أن معظم أصحاب هذا التيار إما في السجون والمعتقلات أو في بلاد المنفى واللجوء أو هم شهداء عند رיהם يرزقون.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا التيار عندما قال (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوه ينفون عنه تحريف الغالين وانتقام المبطلين وتأويل الجاهلين) إن أصحاب هذا التيار هو الذي أثبت قدرته على الاستمرار على مر التاريخ الإسلامي بالرغم من تعرضه لضغوط كبيرة وقد من التاريخ الإسلامي بتيارات قريبة من هذه التيارات التي لاحظناها بعد ثورات الربيع العربي إن أصحاب هذا التيار مسؤوليتهم كبيرة فعليهم تتوجه الأنظار وتتعلق بهم الآمال في توحيد رؤاهم ومجالسهم ونظرياتهم حتى يستطيعوا توجيه مجتمعاتهم نحو بناء دولة الحرية والعدالة والكرامة.

المصادر:

مدونات الجزيرة